

الحلقة الخمسون

مواضيع عملية

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. هل تملك جهاز الموبايل أو الهاتف الخليوي المحمول؟ تحت عنوان سلوك الشباب السوري تغيّر والخليوي أب المشاكل، جاء التقرير التالي من دمشق، والذي نشرته جريدة الحياة:

استحق ربع القرن الأخير أن نسميه زمن الفيديو، فذلك الجهاز الذي غزا البيوت بقوة جاء في وقته تماماً، فاستولى على أوقات الناس وساعات أيامهم. من يتذكر تلك الأيام يتذكر بالتأكيد محلات أشربة الفيديو التي انتشرت مثل الفطر في كل الأحياء. اليوم ذهب الفيديو إلى النسيان أو يكاد، في حين راحت تأخذ مكانه ودوره وسائل ترفيه واتصال جديدة لعل أبرزها اليوم، المحطات الفضائية والانترنت، ثم الموبايل أو الهاتف الخليوي المحمول بكل ما فيه من ميزات الاتصال الصوتي المباشر، وإرسال الرسائل القصيرة، ثم إرسال الصور.

اليوم ينشغل جيل الشباب السوريين بالموبايل الذي تحول إلى جزء أساسي في حياتهم، بل صار جزءاً من مميزات الشخصية. حالة تشبه الحمى، تعبر عن نفسها في ملاحقة الشباب للأنواع الجديدة وما يحمله كل نوع من مميزات. وتتماه كما كان حال الفيديو، تأسست بسرعة سوق الموبايل. وانتظمت مهن ملحقة به، من الصيانة إلى بيع البطاقات، ناهيك عن بيع الأجهزة ذاتها، الجديدة منها والمستخدمة على حد سواء. هذه المهن خلقت بالضرورة مهناً أخرى أهمها معاهد ودورات إعداد الصيانة.

مهناً تبدو حتى اليوم رائجة ومضمونة الربح. وصار عادياً هذه الأيام رؤية محلات خدمة الموبايل بكثرة ملحوظة في كل المدن السورية مهما تكن مدناً صغيرة، أو حتى ريفية نائية. ومع انتشار الهاتف الخليوي وانتشار محلاته الخاصة، انتشرت كذلك آفة سرقة أجهزة الناس. وختم التقرير بالقول: الهاتف الخليوي أي المحمول ليس مجرد وسيلة اتصال، إنه حدث قلب حياة الناس، بل لا نبالغ حين نقول أنه خلق عادات وظواهر اجتماعية لم تكن موجودة من قبل. شباب يحملون هواتف خليوية لا يعرف أهلهم بها، والشيء ذاته تفعله نسوة وفتيات.

من المعروف أن الإنسان يرغب في كل شيء جديد، وينجرف مع كل ظاهرة أو موضة جديدة. لكن كما أن لكل شيء إيجابياته هناك سلبيات له في المقابل. فتحت عنوان كثرة استخدام الهاتف المحمول دليل على حالة قلق، جاء التقرير التالي:

قال باحثون إن الاستخدام المتكرر للهاتف المحمول من قبل المراهقين يعكس حالة القلق والتعاسة التي يمرون بها. جاء ذلك في الدراسة التي عُرضت على مؤتمر الجمعية الأميركية لعلم النفس المنعقد في تورنتو بكندا. وشملت ٥٧٥ طالباً كورياً جنوبياً في الصفوف الثانوية. وتوصل الباحثون إلى أن الطلاب الذين يستعملون هواتفهم النقالة أكثر من ٩٠ مرة في اليوم إما يعانون من الضجر أو يمرون بظروف نفسية رديئة مقارنة بغيرهم ممن يستخدمونها بشكل أكثر اعتدالاً. وأنهم يعانون من حالات قلق نفسي حادة لها علاقة بحياتهم ومستقبلهم. وقال فريق الباحثين يحاول هؤلاء المراهقون الشعور بشكل أفضل من خلال الاتصال بالآخرين. وبالرغم من أن الكوريين يستخدمون الهواتف النقالة أكثر، إلا أن ازدياد المكالمات الهاتفية التي يجريها المراهقون في الولايات المتحدة الأميركية تدل على أنهم يعانون من عوارض مشابهة.

صديقي المستمع، أن ينجرف الإنسان مع كل ظاهرة جديدة، هو دليل في حد ذاته على الفراغ النفسي الذي يعاني منه. وليس غريباً أن يتوصل الباحثون النفسيون إلى هذه النتيجة، لأن الحالة النفسية الحادة تجعل المراهق يلجأ إلى الإكثار من المكالمات الهاتفية ظناً منه أنها ستريحه. وقد تختلف النسبة بين بلد وآخر، فبالنسبة للكوريين أكثر من ٩٠ مكالمات في اليوم، تشير إلى الوضع النفسي غير الصحيح. بينما قد تكون النسبة في بلادنا العربية أقل من ذلك، أي النسبة التي تؤكد على وجود هذه العوارض السلبية، والتي لا بد أن توجد في كل البلدان.

وقديماً قال سليمان الحكيم: "أن العين لا تشبع من النظر والأذن لا تمتلئ من السمع. ما كان فهو ما يكون والذي صنّع فهو الذي يُصنع فليس تحت الشمس جديد. إن وجد شيء يُقال عنه انظر. هذا جديد. فهو منذ زمان كان في الدهور التي كانت قبلنا." (جامعة ١: ٨ب-١٠)

لكن سليمان الحكيم بالرغم من قوله هذا، حاول أن يجرب كل شيء لعله يروي نفسه، فكتب قائلاً: "عظمت عملي. بنيت نفسي بيوتاً غرست لنفسي كروماً. عملت لنفسي جنات وفرايس وعرست فيها أشجاراً من كل نوع ثمر. عملت لنفسي برك مياه لتسقى بها المغارس المنبثة الشجر. قنيت عبيداً وجواري وكان لي ولدان البيت. وكانت لي أيضاً قنية بقر وغنم أكثر من جميع الذين كانوا في أورشليم قبلي. جمعت لنفسي أيضاً فضة وذهباً وخصوصيات الملوك والبلدان. اتخذت لنفسي مغنين ومغنيات وتنعمات بني البشر سيدة وسيدات... ومهما اشتتهته عيناى لم أمسكه عنهما." وختم سليمان الحكيم قائلاً: "ثم التفتُ أنا إلى كل أعمالى التي عملتها يداى وإلى التعب الذي تعبته فى عمله فإذا الكل باطل وقبض الريح ولا منفعة تحت الشمس."

(الجامعة ٢:٤-٨، ١٠، ١١) أي أن سليمان الحكيم اعترف أخيراً بالرغم من حصوله على كل ما اشتتهه عيناه، أن الكل باطل وقبض الريح ولا منفعة تحت الشمس.

إن هذا يؤكد يا صديقي أن لا شيء في الكون يستطيع أن يروي نفس الإنسان، حتى ولو حصل على كل ما تشتهيه عيناه، وعلى كل ما يريده. فهذه الحاجات المادية ما هي إلا كالسراب الخادع الذي يلمع بريقه من بعيد، ويبهج الإنسان لفترة قصيرة، لكنه يعجز عن إرواء قلبه. ولهذا صرّح سليمان الحكيم في ختام سفر الجامعة قائلاً: "فلنسمع ختام الأمر كله. اتق الله واحفظ وصاياه لأن هذا هو الإنسان كله." (جامعة ١٢:١٣) إن الله إذن هو الوحيد الذي يستطيع أن يروي قلب الإنسان، ويشبع نفسه.

وهذا ما يتوافق مع ما قاله المخلص المسيح بعدئذ: "أن من يشرب من هذا الماء - أي ماء حاجات العالم وملذاته - يعطش أيضاً. ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد. بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية." (بشارة يوحنا ٤: ١٣ و ١٤)

فهل ترغب صديقي أن تشرب من الماء الحي الذي يهبه لك المخلص المسيح مجاناً؟ وهل تعلم أن المخلص المسيح قد دفع غالياً ثمن هذا الماء الحي وذلك عندما مات على الصليب ليكفر عن خطاياك جميعاً؟ فهل تراك تتوب عن خطاياك وتؤمن بالمسيح المخلص فتحصل على هذا الماء الحي الذي يقودك إلى الحياة الأبدية؟